

## الثقافة الشعبية وتحديات العولمة

# Popular Culture and the Challenges of Globalization

نائلة إبراهيم

Naila Ibrahim

باحث دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،  
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان.

[Nailaibra@outlook.com](mailto:Nailaibra@outlook.com)

<https://orcid.org/0009-0001-9592-8607>

### المُلخَص:

يختصّ هذا البحث بتبيان مفهوميّ الثقافة الشعبيّة والعولمة، مُظهرًا أهميّة الثقافة الشعبيّة في تشكيل هوية الفرد وتأثير العولمة عليها، حيث أظهر البحث تحديّات العولمة وأثرها السلبي والإيجابي على الهوية الثقافيّة، وطرق مواجهة هذه السلبيات من أجل حماية تراثنا وحضارتنا وأبنائنا، والاستفادة من الإيجابيات لصنع إنسان ومجتمع متطوّر وواع ومتوازن لتراثه وحدائته.

الكلمات المفتاحيّة: العولمة، الثقافة الشعبيّة، الثقافة الغربيّة، الهوية.

### Abstract:

culture This research is concerned with clarifying the concepts of popular showing the impotence of popular culture in shaping ،and globalization the individual`s identity and the impact of globalization on it. The research showed the challenges of globalization and its nedative and and ways to confront these negatives ،positive impact on cultural identity civilization and children. . . and to ،in order to protect our heritage benefit from the positives to create a developed and aware preson and and balanced heritage and modernity ،society.

**Keywords:** globalization, popular culture, Western culture, identity.

## المقدمة:

يتطّلع العرب اليوم إلى مجارة الثقافة الغربية، والتلاقح مع فورة المغريات لمواكبة العصر، ضارين بموروثنا الثقافي الشعبي عرض الحائط، محنّطين التريبة ولاهئين خلف المؤثرات الخارجية التي أصبحت جزءاً أساسياً من حياتنا اليومية، ومن أبرزها ما يُسمى بالعمولة، التي غزت عالمنا العربي بكافة أطرافه، ولعلّ المتمعن فيما حولنا من الانفتاح على العمولة يُلاحظ تأثيرها الكبير على كافة مجالات الحياة، السياسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية، ودورها الكبير الذي تلعبه في سلوك الفرد والجماعة.

## مشكلة البحث:

تكمن إشكالية البحث في أنه يُتوقع منه الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما أهمية الثقافة الشعبوية في حياة الإنسان؟
- ما هي التأثيرات السلبية والإيجابية للعمولة على الثقافة الشعبوية والهوية العربية؟
- كيف يمكن الحفاظ على الهوية الثقافية في ظلّ احتياح العمولة؟

## أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز معالم الثقافة الشعبوية بين الهوية والكونية وتواصلها في الإنسان، وإبراز دور العمولة وتحدياتها، ويسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- بيان مفهوم الثقافة الشعبوية وتحديد معالمها.
- إظهار مفهوم العمولة وبيان تحدياتها السلبية والإيجابية.
- طرق تحصيل المجتمع العربي وثقافته من ظواهر العمولة السلبية.

## أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول موضوعاً بالغ الأهمية في حياتنا اليومية، وهو موضوع الهوية الثقافية وانعكاسات العمولة السلبية والإيجابية عليها في ظلّ التغيرات العالمية وثورة التكنولوجيا. من هنا نأمل أن يكون لهذه الدراسة أهمية في محاولة نشر الوعي والمعرفة بأهمية الإرث الثقافي وإرشاد الأجيال وحثّهم على المحافظة على هويتهم الثقافية والإفتخار بها في ظلّ العمولة.

## منهجية البحث:

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات المتعلقة بالبحث، ودراستها وتحليلها واستخلاص بعض النتائج في إطار الدراسة.

تمهيد:

## أولاً: مفهوم الثقافة لغة:

أصل الثقافة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثَقَّفَ) بضم القاف وكسرهما. وتَصُمُّ عدَّة معانٍ: الحذق، والفتنة، والدِّكاء، وسرعة التَّعلم، وتسوية الشيء، والتَّأديب، والتَّهذيب، والعلم، والمعارف، والفنون. قال ابن فارس: "(ثقف) الثَّاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشَّيء. ويُقال: ثقتت القناة إذا أقيمت عوجها. ورجل ثقف لقف، وذلك أنَّ يُصيب علماً ما يسمعه على استواء"<sup>(1)</sup>.

## ثانياً: مفهوم الثقافة اصطلاحاً:

يقول ويسلر wisler: "الثقافة هي كل الأنشطة الإجتماعية في أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والإتيكيت والصناعات والفن"<sup>(2)</sup>.

ويعرّف ر. لوي R. H. Louire الثقافة بقوله: "الثقافة هي ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه- تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية وعادات الطعام والحرف التي لم يعرفها الفرد نتيجة نشاطه الإبتكاري بل عرّفها كتراث من الماضي، ينتقل إليه بواسطة التعليم الرسمي وغير الرسمي"<sup>(3)</sup>.

## ثالثاً: مفهوم الشعبية:

المتفق عليه أنّ الشعب: "مجموعة من الأفراد والأقوام الذين يعيشون في إطار موحد من الثقافة والعادات ويوحدهم المجتمع والإطار الجغرافي"<sup>(4)</sup>، وعليه فالمقصود بالشعبية: "مجموعة العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب وتمثّل حصيلة معارفه وخبراته ومهاراته في مرحلة تاريخية معينة"<sup>(5)</sup>.

## رابعاً: مفهوم العولمة لغةً:

العولمة في اللغة هي مصدر الفعل عَوَمَ، وهي ما يُعبّر عن انتقال المعلومات والسلع، ورؤوس الأموال، والتكنولوجيا، ومختلف المنتجات الإعلامية والثقافية، بحرية تامة بين المجتمعات الإنسانية، ولا تقتصر العولمة على ما ذكر سابقاً فقط، بل تتعداه أيضاً إلى تنقل البشر ذاتهم، وكأنّ العالم أضحي قرية صغيرة"<sup>(6)</sup>.

"وقد تُرجمت كلمة العولمة من المصطلح الإنجليزي (Globalization) والذي كان أول ظهور له في الولايات المتحدة الأمريكية بمعنى أن يتم تعميم الأمور لتشمل العالم أجمع، وتُستخدم أيضاً كلمة الكوكبة لتدل على معنى مثل للعولمة، وهي مأخوذة من كلمة الكوكب، وتُشير إلى كوكب الأرض الذي يعيش عليه البشر، كما تُستخدم كلمة الكونية، والمأخوذة من كلمة الكون، والتي تدل على توحيد الكون بأكمله"<sup>(7)</sup>.

## خامساً: مفهوم العولمة اصطلاحاً:

"ارتبط تعريف العولمة كظاهرة تتصل بمجموعة من التطورات في المجالات الفكرية والتكنولوجية والاقتصادية، زادت من تقارب العالم وضيق أفقه، مما أدى إلى زيادة الوعي بما يحدث من حركة تتجه نحو تكوين عالم بلا حدود، أين تقاربت المسافات الجغرافية والموضوعية وتلاشت وترابطت المجتمعات وزالت فكرة العزلة والتفوق"<sup>(8)</sup>.

## الثقافة الشعبية بين الهوية والكونية:

### جدلية العلاقة بين العام والخاص:

الإنسان بعض تراب يمشي، وبعض التراب بشرٌ يرقدون. فنحن والأرض في علاقة تحكمها الحياة ويحكمها الموت. رحاب الأرض وما يحيط بها من ماء وسماء، مسرح الإنسان، يجول فيها بدافع الحاجة أو الرغبة وهو في حركته يتبع إجمالاً مبدأ الثابت والمتحرك المتحوّل.

فالإنسان ثابت متحرك، والأرض متحركة ثابتة. والمجتمع في نموه وكثافته والتجانس النسبي بين أبنائه في العرق أو الثقافة والحضارة، يقطع منها بقعة يسميها وطناً، فتتوالد الأجيال، تتكاثر، وتظلّ، والتراب موطنها، على امتداد مسافة العمر حتى تتهدّم هياكل طينها فينضمّ التراب إلى التراب.

لذلك فكلّ بحث عن تراكم ثقافيّ تراثي لشعب من الشعوب، لا بدّ وأن يُحدّد بعاملَي الزمان والمكان كإطارين لما يؤتيه الإنسان. فالزّمان يجري جداول تتدفّق فتفعل في المكان. تبدّل وتعّدّل، فعل الحوادث عينها. فالمكان سجّل الزمان والإنسان الفاعل فيه، والزمان عدّاد الحركة الإنسانيّة في نتاجها الفرديّ والجماعيّ.

الثقافة الشعبيّة إذاً هي تراكم تاريخي يمتدّ لمئات، لا بل لآلاف سنين خلت، ويكون امتداده في المعالم الظاهرة: العادات والتقاليد، وأنماط العيش، بما فيها جميعاً من قصص وحكايات وما تنطوي عليها من أيّام وحروب وأساطير وخرافات وحكايات في الحب والهوى. منها ما يُعاش في الظاهر وتكرّره الأجيال، ومنها ما يختبئ في بطون الوثائق والكتب، أو يظلّ قابلاً في الجينات المتوارثة فيملي علينا ما كان عند الأقدمين من سالتنا، فالشعب إذاً، أيّ شعب، يعيش في حاضر ماضيه، بصورة تلقائيّة عفويّة دونما شعورٍ واضح كما يعيش حاضر مستقبله دون أن يستطيع وضع المقاييس، وتحديد الأمور. فإذا كان الماضي الحيّ فينا يثبّت بقدر سلامة المكان وسلامة الذاكرة الفرديّة والجماعيّة. فإن المستقبل ليس لوضوح أو ثبات، إنّه عالم الضبابيّة والتخمين والتقدير، يرسمه الأمل وتدفع إليه الرغبة على خطّ حياتيّ متواصل. فالأزمنة من هذا القبيل ثلاثة في واحد، ماضٍ وحاضر ومستقبل، الحاضر فيها نقطة ضوئيّة دائريّة جاذبة تنهلّ من بحر المستقبل، وترمي في جعبة الماضي، لذلك فكلّ زمانٍ حيّ هو حاضر، والإنسان إن لم يكن واعياً لحاضره وحضوره فالزمان عنده لا شيء بالنسبة إلى ذاته الأرضيّة.

أسوق هذا الكلام لأقول: إن الماضي الذي نسميه ثقافة أو تراثاً، يتأصلّ فينا تأصلّ الجذور في التراب، ويتصلّ بمآتي حاضرننا ومستقبلنا، اتّصال الأغصان بالجذور الخفيّة العاملة في أحشاء الأرض، فللأرض أرحام كما للأمهات، وأي مولود يستطيع أن ينكر أصول منبته؟!

انطلاقاً من كلّ ذلك نرى أنّ الإنسان كائن كونيّ مفرطٌ في مداه، مفكّر متطوّر، فالجنس البشريّ واحد في كل أقطار الجغرافيا، وواحد على امتداد مسافات التاريخ، فمنذ آدم حتى اليوم لم يتبدّل جوهرأً، ولم تسقط أسس تكوينه، وإن كان التطوّر فعلٌ فعله في تعديل بعض ملامحه الجسديّة أو الفكرية والنفسية. هو كائن عالمي، وكل امرئ، في جوهره مرآة لأيّ امرئٍ آخر أياً يكن موقعه في الزّمان والمكان؛ فالحب، والبغض، والحزن، والفرح، والألم. حالات نفسيّة تتكرّر منذ البدايات التي نجعل حدودها، وستبقى تتكرّر حتى النهايات التي يحتفظ الله وحده عزّ

وحلّ بمواعيدها، فهل هذه الصّفة الكويّية تمحو الخصوصية التي تحدّدها معالم كثيرة أهمّها الأرض والتاريخ والتراث والحضارة؟

وهل كويّية الإنسان ساهمت وتساهم في خلق إطار كويّ يجمع في حدوده أبناء البشر أجمعين، فيسمّى عولمة؟ وهل الأمر بسيط إلى هذا الحدّ؟

يُخطئ من يعتبر أنّ العولمة، أو الكويّية من بعض الوجوه، مولود أبصر النور في العقد الأخير من القرن الماضي، كما يُخطئ من يحسب أنها سيطرت واستقرت إلى أبدٍ نجهله، فالأمر جدليّ، والكرّ والفرّ بين الخصوصية والعولمة باقٍ إلى ما شاء الله.

إنّ صلات الشعوب بعضها ببعض، كانت لها إرصاصات ومعالم، فبين الشرق والغرب صلات ووشائج قديمة قامت قبل اكتشاف العالم الجديد، أميركا، ما يعني أننا كنّا آنذاك في حالة ما يشبه العولمة، فما بالك بالاتّصالات ولو بطيئة وحجولة بين بغداد أمّ الدنيا آنذاك، وما حولها ممّا هو خاضع للإمبراطورية العربيّة، وبين أوروبا، وما تتضمّنه تلك الصّلات من تبادل اجتماعيّ، ثقافيّ وحضاريّ.

ولكنّ المقاربة السابقة لا تصحّ إلاّ يسيراً باعتبار الطبيعة المختلفة للعولمة التي نتحدّث عنها اليوم. لأنّها أحاديّة إلى مدى بعيد، محكومة بطرف عالميّ واحد هو الولايات المتّحدة الأميركيّة التي سعت بصورة محمومة إلى الاستئثار الكويّ بعد سقوط العملاق الثاني، الإتحاد السوفيّاتي، في العقد الأخير من القرن الماضي.

صحيح ان العولمة بدأت اقتصاديّة، إلاّ أنّها حملت أهدافاً أخرى بعيدة المدى في مجالات الإعلام والثّقافة وتالياً اللّغة والعادات والتقاليد من طريق التطوّر التكنولوجي الهائل، فقرعت أبواب العالم الثالث قرعاً مُلحاً وأصبحت في عقر كل دار. وهنا أصبح هذا العالم أمام أمرين: إمّا أن يتحدّى ويثبت ذاته وخصوصيّته، ويحمي تراثه، وإمّا أن ينكفيء ويخضع للانقلاب الوافد فيطوي صفحات الماضي ويُمسي تراثه شيئاً فشيئاً في عالم النسيان.

في هذه المعركة الجديدة الحادّة يتموضع التراث بين الإنسان والأرض. فالمجتمع، ونواته الفرد، له تاريخ حافل بالعادات والتقاليد، وله تراكمات ثقافيّة كثيرة، والأرض هي المساحة التي يتحرّك فيها هذا الإنسان، فهل هي مجرد تراب وماء؟

نرى، في هذا السياق أنّ الإنسان بطبيعته لا يمكن أن ينفصل عن الأرض، عن التراب. هذا التراب قد يكون صورة لما يحتفظ به الإنسان في أعماق ذاته من رواسب تردّه إلى أصول المادّة قبل أن ترقى إلى أشكال<sup>(9)</sup>؛ لأنّها انفلات حرّ، وتحدّ للأشكال والمقاييس التي حملتها التكنولوجيا، أداة العولمة، فالطبيعة تحمل أبعاداً فوق حدود الشكل الثابت الذي تتمظهر فيه، أنّه البعد التراثي الحضاري<sup>(10)</sup>، وانطلاقاً من ذلك يتأكّد الرّبط بين الإنسان والأرض وبين الفنّ (التراث) والطّبيعة. فالنّ هو الإنسان مضافاً إلى الطّبيعة<sup>(11)</sup>، ذلك أنّ الإنسان لا ينفصل عنها بل يعبّ منها، ويعطيها من ذاته<sup>(12)</sup>، إنّ العلاقة بين الإنسان والجماد المحيط به علاقة وثيقة أصليّة وعفويّة ومستمرّة، فكأنّ سيالات نورانيّة تنطلق من الدّات وتغمر الأشياء فتتولّد وشائج فاعلة ومؤثّرة تجعلنا نحبي الجماد



ليشاركنا انفعالنا ومشاعرنا. يقول أحد الأدباء الفرنسيين: *choses inanimées vous –avez ، merdonc une ame qui s'attache a notre ame et la force d'ai*.

ما معناها: أيّتها الأشياء الجامدة هل لك من روح تتصل بروحنا وتدفعها إلى الحبّ، فلو لم تكن الأرض، من بعض وجهه، مرآة لذواتنا العميقة.

ولو كانت الرؤية ضبابية، لما كان هناك وطن، أو حبّ لوطن. وإذا كانت العالمية تجعلنا ذوات جناح نظير به إلى البعيد فنغترب ونتغرب، فإنّ لنا مع الأرض أيضاً أواصر وروابط تجعلنا نلتصق بها. صحيح أنّ الإنسان كون مصعّر مرمز، ولكن الصحيح أيضاً أن الأرض التي نقوم عليها تتصل بها اتصالاً حميماً، فالطبيعة قبل كلّ شيء امتداد إنسانيّ، ولا يمكن أن يتشكّل المرء في كيانية كاملة إلاّ بها<sup>(13)</sup>.

ولمزيد من توثيق العلاقة بينهما اعتقد بعض الدارسين أنّ الحنين إلى الأرض (الأم الكبرى)، يوازي الحنين إلى الأم (المرأة الوالدة)<sup>(14)</sup>، وينتقل "غاستون باشلار" إلى مشابحة ما قبل الولادة بما بعد الموت، في المماثلة بين أحشاء الأم وضريح الإنسان في باطن التراب<sup>(15)</sup> ويجعل "إلياد" الأرض هي البداية والنهاية بالنسبة إلى الإنسان فيقول: إنّ الحياة ليست سوى انفصال عن أحشاء الأرض، وأنّ الموت يختصر العودة إليها<sup>(16)</sup>، فالروابط إذاً كيانية أصيلة لا فكك منها وتغدو بمنزلة اتصال الجزء بالكل<sup>(17)</sup>، وتتمام الأمر ما جاء عند "ألبيير باغان" إذ اعتبر أنّ الأرض، لا بل الطبيعة، مجال للحوار والتفاعل يتحاور معها الإنسان حوار الجزء مع كليته، والكلّ مع ذاته المصغرة، يقول *steffens*: "العالم الخارجي هو وجه لذاتنا الداخلية"<sup>(18)</sup>، واستطرداً، فإنّ محمّد هدّارة يعتقد: "أنّ الأدب ليس مشاركة وجدانية لبني الإنسانية فحسب، ولكنّه مشاركة وجدانية أيضاً لمظاهر الطبيعة المختلفة"<sup>(19)</sup>، "فالطبيعة- المكان تتخذ قيمة بمقدار ما تستطيع أن تكون مسرحاً لتتمّ فيها عملية التحوّل"<sup>(20)</sup> في العلاقات بين الكائنات والعناصر.

انطلاقاً ممّا ورد، في جدلية العلاقة، وإذا تأملنا الحضور الإنسانيّ العامّ، والاتجاهات النفسية الخاصة، نجد أنّ الوطن يحضر في كياننا فيبدأ بالمساحة المرسومة والمُتعارف عليها، ثمّ يتقلّص إلى حدود المنطقة ثمّ القرية فالحيّ، ويستقرّ فعلياً عند الممتلكات أرضاً أو منزلاً. فمن لا يملك شيئاً في وطنه، لا يمتلك شعور المواطنة، كالشجرة المقطعة من جذورها.

فهل هذا التراجع من العام إلى الخاص الحميم، يوازيه تراجع من نوع آخر يختصّ بكيانونة الإنسان؟ هذا الكائن الذي يولد من رحم أمّه ثمّ يجوب آفاق الدنيا ولكنه يظلّ يحنّ إلى الرحم الذي خرج منه.

ولكنّ العلاقة بين الإنسان والأرض، على أصالتها ومتانتها قد تشوبها شوائب فتراخي وتراجع بأسباب ودوافع، فالإنسان ابن البيئة، والبيئة تتشكّل من عناصر كثيرة بعضها ناتج وطني والبعض الآخر وافد من خارج، وهذا الأخير يشكّل العامل الأهمّ في الضغط على المنسوج الوطني أو الخصوصية والتراث.

حين ينمو الإنسان في بيئة معينة يعتادها بعد حين ولا يستطيع عنها بديلاً بفعل ممارسة الحياة اليومية، والواقع أن أجيالنا اليوم تترعرع في بيئة ذات طابع غريب، وتباعاً تصبح الغربة مألوفة ويختنق بعض الماضي تحت التراكمات

اليومية التي تتدفق بها العولمة حاملة الحديد المدهش<sup>(21)</sup> وقد برّفته بطلاء الرفاهية ذات الملامس الحريرية والتي تخفي المتاعب المرهقة، وان يكن الزمان في عبوره يشوّه الماضي فتمسي الذكريات ضوءاً في ضباب. وقد قال جبران في النبي: "بربكم أخبروني، يا أبناء أورفيلس، ماذا تملكون في هذه البيوت؟... السلام؟... التذكارات؟... أم عندكم الرفاهية فقط، والتحرّق للرفاهية الممزوج بالطمع، الرفاهية التي تدخل البيت ضيفاً، ثم لا تلبث أن تصير مضيفاً، فسيّداً عاتياً عنيفاً"<sup>(22)</sup>.

### مظاهر العولمة وتحدياتها:

انطلاقاً من قول جبران، سنحاول أن نضع العولمة في ميزان السلب والإيجاب، وأمام معايير المواطنة والحضارة والتراث، لنرصد المفاعيل والنتائج.

لا يستطيع أحد منا أن ينكر إيجابيات العولمة فهي في طريقها إلى جعل الكرة الأرضية قرية كويتية سماها الاتصال السريع المستمر بين المجتمعات قاطبة، أو بين معظمها من طريق الفضائيات وتشعب الاتصالات: كمبيوتر، إنترنت، هواتف نقالة، مواصلات سريعة... فتمنع بذلك تقوقع الشعوب وانفصالها وما ينتج عن هذا الانفصال من كثافة الحواجز والاستغراق في الخصوصية وعميق التباين والفرقة، فالعولمة تدفع إلى مزيد من ضخّ المعارف والمعلومات التي تنتجها الأدمغة العالمية بصورة متواترة فيفيد المتخلف من المتقدم، وصاحب الثقافة الدنيا من صاحب الثقافة المتطورة لا سيما في الأمور التي لا تمسّ الخصوصيات، عنيت المسائل التقنية والعلمية والخدمات على أنواعها ووفرة تشعباتها، وتدفع جديدها.

ولكن هل للعولمة مثالب؟ هل نقائصها ناجمة من فعلها بالذات أم هي نتيجة خلل في مجتمعات العالم الثالث غير المؤهل أو المحضّر في بناء النفسية والفكرية لاستيعاب محتوياتها بصورة سليمة؟  
مبدأ الوجود المادي أو المعنوي أنّ كلّ فراغ يُملأ، والفراغ الذي حصل من جرّاء سقوط المعسكر الشيوعي مُلئ سريعاً بمدّ رأسمالي غربي دعامة الأساسية الولايات المتحدة الأميركية فكان مدّاً اقتصادياً وإعلامياً وثقافياً، ومفاعيله كلّ ما نتج عن المبتكرات والاختراعات، والأداة المسوّقة له هي اللغة الانكليزية التي سادت أو كادت أن تسود في سائر أقطار العالم.

هذا الغزو التكنولوجي الغربي لا يتمّ بحجاناً، ولا يقدم لنا على طبق من فضّة، لا مجانيّة في التعامل بين الشعوب والدول ولا سيما في هذا العصر، عصر سيطرة النزعة المادية المصلحية<sup>(23)</sup>.

وهذه اللامجانّة تتمّ علة وجهين: وجه ظاهر هو إيفاء القيمة المادية والكلفة المتوجّبة على كلّ سلعة، وعلى كلّ خدمة، ووجه خفيّ هو التأثير الذي يحدثه الوافد، على أنواعه، على كلّ الشعوب المتلقية، وهذا الوجه بالذات هو الذي يعيننا، ونركّز عليه. إنّ شيوع السلع وتزايد الشركات الأجنبية والاتصال الإعلامي بالمجتمعات المتطورة، وضروب العيش فيها، نتج عنه اعتماد ثقافة مناسبة لمتابعتها واللحاق بشروطها الجديدة، وذلك لتسيير العجلة الاقتصادية.

ونسجّل في هذا السياق ظاهرة الانبهار الشرقي بنتاج الغرب، ودهشة أبنائنا بما يعرض من سلع وما يستتبع ذلك من تعديل أو تبديل في أنماط العيش والعادات ما يعني طيّ صفحة القديم، أو التخلّي عن مضمونه شيئاً فشيئاً، فالعلاقات الاجتماعية التي عرفناها قبلاً، تراجع، والأواصر العائليّة تفكّكت، وبات التحلّل من النسب في طريقه إلى التحقق، حتّى الأشقاء في البيت الواحد صاروا عملياً إلى تفتّت، كل فرد في العائلة استقرّ على ملازمة التلفاز أو الهاتف المحمول أو الإنترنت و"الفايسبوك" و"التيك توك" وما شابه، هذا في أوقات فراغه، أمّا في أوقات العمل فهو أيضاً فاقد حرّيته، ليس في رحلة بريّة للتأمل أو في رحلة بحريّة لصيد الأسماك أو في نزهة بأحضان الطبيعة، بل هو ساع بكّد وانضباط الى مواجهة الضغوط المعيشيّة، والإيفاء بالالتزامات الكثيرة. لذلك فإنّ العولمة التي دخلنا في جاذبيّتها أصبحت ضرباً من الإدمان، تزعجنا ولا نستطيع الإفلات منها للعودة إلى عالم الذات في رؤاه وأحلامه<sup>(24)</sup>، ومنشأ هذا الانزعاج كان قبل العولمة، لقد بدأ مع المدينة قبلاً، فكانت مشكلة الإنسان مع المدينة التي اتّسعت لاحقاً إلى حدود العولمة، إنّها مشكلة أخلاقيّة، فالعربي يكافح أبداً من أجل المثل العليا التي يقوم عليها وجوده وحضارته، فهو ليس ضدّ المدنيّة، إنّما هو ضدّ هذه المدنيّة الغربيّة التي لا تجعل للقيم الأخلاقيّة شأنًا كبيراً، بل ترسم طريقاً يؤدي إلى ضرب الإله في الإنسان والعالم<sup>(25)</sup>.

فهل هذه الأزمة ما زالت على حدّتها أم أنّ شعوبنا استقلّت قطار العولمة وباتت محتارة بين الأمام والوراء وفي الحالتين مشكلة لافتة، ففي نفس الإنسان المشرق حضور مزدوج تجسّده صور التناقض نتيجة التباين بين الحالتين<sup>(26)</sup>.

أصبح التراث، بل قل: الهوية، من بعض وجه، على هامش الحياة وأحداثها، يُنظر إليه كالواقف على محطة الزّمان يترقّب القطار، ولا موعد ظاهراً لمروده...

يقتصر التراث اليوم على المعالم الأثريّة وذاكرة الأجيال التي تقدّم بها السن وأصبح الماضي حكايات ربما تقبل الناشئة بعضها، وكذلك يحتبّي في بطون الكتب وعزم الأدباء، فإذا تناولنا نتاج بعض أدباء الخليج مثل: علي أبو الريش، إبراهيم مبارك، ناصر جبران، محمّد المر، مريم جمعة وكثيرون غيرهم في البحرين وسائر الخليج وفي لبنان وسوريا ومصر، نجد أنّ جلّ الأدباء يسعون إلى تثبيت التراث من خلال قصصهم أو أقاصيصهم أو رواياتهم، ولكنّ هل يفلحون؟ هل إنّ الإنسان العربي ما زال قارئاً؟ هل يقرأ ما يتعلّق بتراثه؟ وهل يعلّق في ذهنه ما يقرأه؟ وهل يتحوّل نتيجة فعل مضمون ما قرأه؟

إنّي أحوال إنساننا اليوم مثل سائق يسير إلى الأمام بنهم متسرّع، وقد كسر المرأة التي تريه ما يكون في الوراء...

ولكن، هل الإنسان في هذا التطوّر الانقلابي على حق وقناعة؟

لا شكّ في أنّ الحياة لا يلدّها لها السكّنى في منازل الأمس، وأنّ جديد اللحظة، بفعل توارد الزمان، يصبح قديماً بعد لحظة. ولكنّ، ما يضع حدّاً لمفاعيل هذين القولين هو أنّ الجوهر ثابت، وما ينتسب إليه لا يزول، على الأقل، لا يزول بسهولة؛ لذلك، فما ينتج المجتمع من عادات وتقاليد وثقافة، هو كالتبات، بعضه سطحي يذبل

بعد حين، مع لفح الحجير، وبعضه الآخر متجدد لا تقوى عليه العناصر، ما يعني أنّ في قديمنا ما يستحقّ الاستمرار، وفيه ما يستأهل المفصليّة.

لا بأس في موت العادات السيئة: الحقد، الكراهية، التنازع العائلي، رفض الآخر، الخرافات، والأوهام... وجميعها تنال من كرامة الإنسان، ما يسبّب الاستمرار في التخلف عن مجارة ركب الحضارة الإنسانيّة الروحيّة. أمّا ما يختصّ بمحبّة الوطن والوفاء للأرض والتاريخ والتراث وحفظ كرامة الأجيال التي عانت وضحت والتمسك بالقيم: الصدق، المحبّة، الغيرة، العطاء، التواصل الإنساني الصافي، اللّحمة الاجتماعيّة التراثيّة، الشيم العربيّة الأصيلة، جميعها علامات مميّزة للمجتمعات، ومعايير بها يُقاس مقدار الرقيّ والتقدم.

### طرق مواجهة آثار العولمة السلبية والاستفادة من إيجابياتها:

نختصر هنا، العرض الثنائي الوارد أعلاه، لنطرح السؤال الآتي: هل يصبح التطور عنواناً لكلّ جديد آت على صعيد الأفكار أو السلع الاستهلاكيّة؟ وأيّ مبتكر؟

الواقع، أنّ التطور الفعلي، في نظري، يكمن في مقدار الخطوات التي يسجلها المرء في حياته بأنجاه الله عزّ وجلّ، فالإنسان أعطي فترة امتحان سُميت العمر، ليُجاهد ويترقّى من الداخل، وبعدها يُحاسب، فُرّب متسوّل، أو راعي أغنام... أو مُهمل في زاوية شارع، قد يكون أفضل من غارق في العلم أو نافذ أو صاحب كنوز كثيرة. ما يراه الله، يختلف قليلاً أو كثيراً عمّا يراه الناس، وإنّما الأعمال بالنيّات، والأحكام الإلهية على الأعمال والنيّات معاً، فما دمت تنوي الخير، أنت بخير.

وبعد، هل يستطيع انساننا العربي الوقوف بوجه العولمة المفتحة أوطاننا؟ وهل نستطيع إيقاظ الخصوصيّات الوطنيّة التلريحيّة الحضاريّة، إذ نجعل من الأرض نقطة انطلاق من جديد؟ أولاً؛ ليس المطلوب رفض العولمة لأننا لا نرفض التطور والتجدد في الحياة، ولكن بمقدار.

إنّ حماية الذات تحتاج إلى خطّة واضحة وهادفة، تنطلق من روافد متعدّدة لتصبّ أخيراً في أرض الوطن، من هذه الروافد: التربيّة المنزليّة والمدرسيّة والمؤسّسات الاجتماعيّة يتوجّها جميعاً سهر الدّولة بكل قدراتها، ذلك أنّ أجيالنا اليوم تميل إلى إهمال الماضي ونسيان تاريخه، وتأنف العادات والتقاليد، وتمسك بكل غريب وافد، والأخطر من ذلك أن معظم الناشئة يرغبون عن اللّغة العربيّة إلى سواها، وهم بذلك محقّون في شيء، مخطئون في شيء آخر فالسلع، والآلات، ووسائل الاتّصال، والتعامل اليومي في الشركات والمؤسّسات ذات الصّلة بالأجانب كلّها يتم باللّغة الأجنبيّة، الانكليزيّة على الأغلب. نحن لا نناقش هذه الناحية، ولكننا نريد القول أن الإعراض عن اللّغة أمر غير مبرّر، مع العلم أن السبب الأساسي لهذه العلة هو عجزنا عن أن نكون مصدر إنتاج وابتكار، فاللّغة تحيا وتنمو بأهلها، وتموت وتندثر بسطحية ووهن الالتزام.

إنّنا في هذا المجال، نعول على أدبائنا الذين يضمّنون مؤلّفاتهم جملة المآثر والعادات والتقاليد وما كان في التاريخ، وإن قال أحدنا ان بعض ما يسود عندنا ليس ذا قيمة، والجواب عن ذلك واضح ومتشعب، فُرّب أمر



يسير أو بسيط قد يجد في نفوسنا متعة، لأنه يكرّر صورة ما كان عند أجدادنا، وما كان عندهم هو مائل أيضاً في أعماقتنا، ولو بقسط فنكون بذلك نستعيد أعماقنا المنسيّة، وما انطوى في "لاوعينا" الفردي أو الجماعي. وإذا التفتنا إلى نتاجات أدبائنا في كافة الدول العربيّة، نجد أنّ الشعراء والكتّاب ولا سيّما القصّاصين والروائيّين منهم يكلفون بالتراث من جميع وجوهه، ويطعمون صورته القديمة بما هو حديث وسائد، وهذه هي الحالة الفضلى، فبالإضافة إلى لبنان وسوريا ومصر، لا بدّ من التّركيز على ما يصدر في الخليج العربي من مؤلّفات غنيّة وكثيفة.

فالقصص الخليجيّة، والدّراسات القائمة حولها، تُركّز، في ما تُركّز، على الصّراع بين القديم والحديث، بين الخصوصيّة الوطنيّة والجديد الوافد، وتحدّث عن افتتان الشباب العربي بمظاهر الغرب، مثل ما نجده عند الكثيرين، ومنهم شيخة الناحي في كتابها "رياح الشمال"<sup>(27)</sup>، وإسلام أبو شكير<sup>(28)</sup> الذي يُعالج مسألة الحضارة الجديدة وما سبّته من أزمت في العلاقات الإنسانيّة، ومسألة الاغتراب لدى الشّباب، وكذلك ما جاء في دراسة أحمد حسين حميدان<sup>(29)</sup> حول دور القصّة الإماراتيّة في رصد عادات الخليج وتقاليدّه ممّا يُساهم في ظلّ النمو الاقتصادي الضاغط باتجاه الاستئثار.

ويلاحظ الدّارس أنّ الرّوايات الخليجيّة الجديدة استمدّت العديد من موضوعاتها وصورها الفنيّة من البيئة المحيطة: البحر، الصحراء، الشّمس، النخيل، الماء... وفي هذا كلّه يتبرعم الأمل من جديد لجهة إحياء التراث أو المحافظة عليه.

يبقى أن نكوّن الرّغبة عند الأجيال لقراءة ما يُكتب ويُشر من مؤلّفات، حتّى ما نُشر في وصف مصاعب الماضي ونقائمه، ويُعتبر حالة منقرّة بغیضة، يُقابله ما يُنشر من جديد وفيه ما يكفي من صور القسوة والبشاعة، ومثل هذا جاء عند سعاد العربي<sup>(30)</sup> التي تقدّم لنا في حقل غمران صورة مأسويّة لحياة الإنسان في الصّحراء الحارقة القاحلة قبل اكتشاف النفط وبعده.

وختاماً، علينا نحن العرب، أن نقيم التّوازن بين العالميّة والوطنيّة، بين الوافد من أقاصي الأرض والنابت من التّربة المحليّة، فلا العولمة مرفوضة في إيجابياتها، ولا التّراث مقبول على علاّته، وفي التّوازن نتج إنساناً متطوراً واعياً لحديثه وتراثه، ووطناً مزدهراً يحتزن على أرضه الجديد والتّراث في آن.

### الخاتمة وفيها النتائج:

في ختام هذا، أحمد الله تعالى الذي منّ بإنجاز دراستنا، وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج أذكر من أبرزها الآتي:

1- إن الثقافة الشعبيّة هي تراكم الماضي والتّراث والحبّ، تراكم كل ما هو متأصل ومُتجذّر في الإنسان، وعليه فإنها ذات أهميّة كبيرة في تحديد هويّة وكيان الفرد والجماعة.

- 2- إنَّ العولمة هي مسار انفتاح ثقافات شعوب العالم، لكنّها تحمل في جُعبتها وجهين: إيجابيّ وسلبيّ، وهي قادرة من خلال مجالاتها على تغيير مفاهيم الفرد والجماعة إمّا نحو التطوّر الواعي مع الإحتفاظ وحماية الهوية الثقافية أو نحو التَّبعية العمياء، فطمس الجذور والاندثار.
- 3- علينا نحن العرب، أن نُدرك أهميّة هويّتنا وتراثنا الثقافيّ وأن نُقيم التّوازن بين العالميّة والوطنيّة، من أجل إنتاج وطن مزدهر، متطوّر وواع.

#### الهوامش

- 1) أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1404، ص382.
- 2) د. سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص35.
- 3) نفس المصدر ص36.
- 4) ذهبية آيت قاسي، الثقافة الشعبية في البرامج الثقافية الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري(القناة الرابعة)دراسة وصفية تحليلية لبرنامج تويزا، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة وهران 2009\2010، ص39.
- 5) نفس المصدر، ص39.
- 6) تعريف ومعنى عولمة ينظر موقع، [www. almaany. com](http://www.almaany.com)، نُشر بتاريخ 21-3-2018.
- 7) نفس المصدر.
- 8) محمد حسين أبو العلا، ديكتاتورية العولمة: قراءة تحليلية في فكر المثقف، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004، ص34.
- 9) Pierre Richard-Jean، Litterature et sensation، Paris -Edition du seuil، 1954، p. 170.
- 10) Therrien Vincenr، La revolution de Gaston Bachelard en critique، Klinckseck Edition، litteraire، Paris، 1970، p. 181.
- 11) Jean Suberville، Theorie de l`art et de genres litteraires، Edition de، Paris، l`ecole، 1959، p. 17.
- 12) ميشال عاصي، الإنسان والفن، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1980، 3، ص39.
- 13) جورج سعادة، الصّراع بين الريف والمدينة في شعر إيليا أبي ماضي، دار الحداثة، بيروت 2003، ص234.
- 14) Gibert Durand، Les structures anthropologiques de l`imaginaire، France، Bordas، 1969، p. 269.

- 15) Gaston Bachelard، La terre et les reveries de la volonte et du repos، Paris، Corti، 1948، p. 179.
- 16) Gilbert Durand، Les structures. . . p. 269.
- 17) جورج سعادة، الموضوعات الأساسية في شعر الرابطة القلمية، دار الحداثة، بيروت 2002، ص 233.
- 18) Albert Beguin، L'ame et le reve romantique، Paris، Corti، 1946، p. 172.
- 19) محمد مصطفى هدارة، التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957، ص 113.
- 20) جورج سعادة، الصّراع بين الريف والمدينة في شعر إيليا أبي ماضي، دار الحداثة، بيروت 2002، ص 221.
- 21) شيخة الناخي، الرّحيل، منشورات اتحاد أدباء وكتّاب الإمارات، الشارقة 1992، ص 43-50.
- 22) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (النبي)، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1964، ص 101-102.
- 23) أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت 1967، ط 4، ص 292.
- 24) Dagognet Francois، Gaston Bachelard، Presses universitaires de، Paris، France، 1972، p. 82.
- 25) مناف منصور، الإنسان وعالم المدينة في الشعر الحديث، مركز التوثيق والبحوث، بيروت 1978، ص 160.
- 26) عزّ الدين اسماعيل، الشّعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت 1972، ط 2، ص 327-328.
- 27) شيخة الناخي، رياح الشمال، منشورات اتحاد كتّاب الإمارات، الشارقة 1997.
- 28) إسلام أبو شكير، القصّة القصيرة الجديدة في الإمارات الخليج العربي 2010، ص 4-54.
- 29) أحمد حسين حميدان، القصّة الإماراتية القصيرة بين التأسيس والتشخيص، مقارنة أولى، جريدة الأسبوع العربي، العدد 1032، -25-11-2006.
- 30) سعاد العريمي، حقل عمران، الشارقة، منشورات اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات، 1990.

#### المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر العربية:

1. أحمد حسين حميدان، القصّة الإماراتية القصيرة بين التأسيس والتشخيص، مقارنة أولى، جريدة الأسبوع العربي، العدد 1032، -25-11-2006.
2. إسلام أبو شكير، القصّة القصيرة الجديدة في الإمارات الخليج العربي 2010.
3. أنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت 1967، ط 4.

4. أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1404.
5. جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (النبي)، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1964.
6. جورج سعادة، الصّراع بين الريف والمدينة في شعر إيليا أبي ماضي، دار الحدّاءة، بيروت 2002.
7. جورج سعادة، الموضوعات الأساسيّة في شعر الرابطة القلميّة، دار الحدّاءة، بيروت 2002.
8. ذهبية آيت قاسمي، الثقافة الشعبيّة في البرامج الثقافيّة الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري (القناة الرابعة) دراسة وصفية تحليلية لبرنامج تويّزا، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة وهران 2009\2010.
9. د. سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1983.
10. سعاد العريبي، حقل عمران، الشارقة، منشورات اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات، 1990.
11. شيخة الناحي، الرّحيل، منشورات اتحاد أدباء وكتّاب الإمارات، الشارقة 1992.
12. شيخة الناحي، رياح الشمال، منشورات اتحاد كتّاب الإمارات، الشارقة 1997.
13. عزّ الدين اسماعيل، الشّعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنيّة والمعنويّة، دار العودة ودار الثقافة، بيروت 1972، ط2.
14. محمد حسين أبو العلا، ديكتاتورية العولمة: قراءة تحليلية في فكر المثقف، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004.
15. محمد مصطفى هدارة، التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957.
16. مناف منصور، الإنسان وعالم المدينة في الشعر الحديث، مركز التوثيق والبحوث، بيروت 1978.
17. ميشال عاصي، الإنسان والفن، مؤسّسة نوفل، بيروت، 1980، ط3.

#### المراجع الأجنبيّة:

18. Albert Beguin, L'ame et le reve romantique ,Paris , Corti 1946 .
19. Gaston Bachelard ،Francois Dagognet, Presses universitaires de France, Paris 1972 .
20. Gaston Bachelard, t du repos La terre et les reveries de la volonte e , Essai sur les imaginations des forces, .Corti 1948 ،Paris .
21. Gibert Durand, Les structures anthropologiques de l'imaginaire France 1969 ،Bordas.



22. Pierre Richard-Jean, -Edition du seuil ،Litterature et sensation Paris,1954 , .

23. Jean Suberville, Theorie de l`art et de genres litteraires ,Edition de l`ecole, Paris ,1959 .

24. La revolution de Gaston Bachelard en critique ،Therrien Vincenr litteraire, Edition Klinckseck ,Paris , .1970 .

الموقع الإلكتروني:

25. تعريف ومعنى عولمة ينظر موقع: [www.almaany.com](http://www.almaany.com)، نُشر بتاريخ 21-3-2018 .